

تفكيك الخطاب العربي المناهض للخطاب الكولونيالي "الاستشراق" و"الثقافة والإمبريالية" لإدوارد سعيد أنموذجا

Dismantling the Arab anti colonial discourse
"orientalism", "culture and imperialism" by Edward Said as a model

ط.د/ صورية بن عيسى

د/ البشير عزوزي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريبيج (الجزائر)

ammARBenaissa846@gmail.com

تاريخ القبول: 2022/09/30

تاريخ الإرسال: 2022/09/01

ملخص:

تعدّ النظرية ما بعد الكولونيالية من أهم النظريات النقدية والأدبية التي تهدف إلى تفكيك الخطابات الغربية التي ساهمت في بلورت مختلف الاتجاهات والآراء الثقافية والفكرية الغربية التي تحمل في طياتها توجهات استعمارية إزاء الشعوب التي تقع خارج منظومتها كما تعد من أهم الاستراتيجيات القرائية المناهضة للفكر الغربي الإمبريالي التي تسلح بها أدياء العالم الثالث في سعيهم المستمر لرفض جميع أشكال الهيمنة والتسلط والتهميش والإقصاء، ويعد إدوارد سعيد من بين هؤلاء المفكرين الذين حملوا على عاتقهم مهمة الكشف عن التزييف الثقافي الغربي وفضح تلك الخطابات الاستعمارية التي تنتجها الثقافة الغربية وقد تجلّى ذلك بشكل واضح في كتابيه "الاستشراق" 1978م و"الثقافة والإمبريالية" 1993.

لذا سنحاول من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على المشروع النقدي لإدوارد سعيد (النظرية ما بعد الكولونيالية) من خلال الكشف عن المطلقات المعرفية والمنهجية التي ينطلق منها في كتابيه الاستشراق والثقافة والإمبريالية لتفكيك الخطابات الغربية والرد على تلك النزعات العدائية ومصادرها العرقية والعنصرية.

الكلمات المفتاحية: ما بعد الكولونيالية، الخطابات الغربية، المركزية الغربية، التفكيك، الإمبريالية.

Abstract :

The theory post colonialisation is considered one of the most important critique and literary theory which aims for disjoining the western speeches which contribute to crystallization various directions cultural and intellectual opinions which include colonial orientations at the peoples outside the European system as it is considered one of the most important reading and militating strategies of western and imperialist through which armed by the writers third world in their continuous quest to reject all forms of dominance authoritarianism ,marginalization and exclusion EDWARD said is one of the thinkers who do the task of discovering western and cultural faking in addition ,exposition the colonial speeches produced by western culture for them fragile layers and this has been clearly appeared in his book orientalism 1978 and imperial culture 1993.

So we will try by this study highlight the critique project for EDWARD said theory post colonialisation by detecting cognitive and methodology, views used in his writing orientalism and imperial culture for dismantling waster speeches and respond to these hostilities and its ethic racist sources

keywords: post colonialism, western discourses, western central, disassembly, imperialism .

لقد ظهرت النظرية ما بعد الكولونيالية كتيار مناهض للفكر الغربي الامبريالي والتي تسعى إلى الإجابة عن سؤال الثقافة في شقها الاستعماري فهي من أهم النظريات النقدية والأدبية التي تندرج ضمن حقل الدراسات الثقافية والتي حملت على عاتقها مهمة إعادة النظر في جميع المفاهيم والإيديولوجيات السابقة، من خلال استهداف المركزية الغربية ومقولاتها الاستعمالية وهذا التناول الجديد ظهر مباشرة بعد التحولات الكبرى في القرن العشرون وبعد معاناة شعوب كثيرة جراء الاستعمار فقد استطاعت السلطة العسكرية الغربية فرض وجودها وهيمنتها على العديد من الدول المستضعفة لفترات طويلة من الزمن من خلال استنزاف طاقاتها المادية والمعنوية وحتى الإبداعية ، ولم تتوقف خطورة هذا الاستعمار عند هذا الحد فقد أخذ شكل آخر بعد استقلال هذه الدول وإعلان انسحاب

القوات العسكرية من أراضيها ظهر استعمار أحر لا يقل خطورة عن الاستعمار المباشر في شكله الكلاسيكي هو الاستعمار الثقافي الفكري الذي يسعى إلى تكريس تلك التحديدات الثقافية الغربية.

ولهذا تهدف النظرية ما بعد الكولونيالية إلى تفكيك تلك المقولات التي تتمحور حول المركزية الغربية والتي عملت الخطابات الاستعمارية فرضها على دول العالم الثالث ، وتحطيم تلك النزعات العدائية إزاء الشعوب التي تقع خارج المنظومة الغربية والتي تصفها بالتخلف والدونية حيث "صارت مجالاً أكاديمياً صاعداً إذ اتسع مداها وصارت تغطي بتساؤلها الدائم عن العلاقة بين السلطة والمعرفة، وموضوعات مختلفة منها تاريخ الغزوات الاستعمارية والنضال المناهض للاستعمار والتشكيلات القومية ما بعد الكولونيالية فضلا عن طرق الهيمنة الثقافية"⁽¹⁾.

والملاحظ للدراسات ما بعد الكولونيالية يجد أنها من أبرز الدراسات المتشعبة والمتشابهة مع العديد من حقول المعرفة المختلفة مثل الفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا والسياسة والنقد والأدب وارتباط هذه النظرية مع جميع هذه العلوم راجع إلى ارتباطها الوثيق بالاستعمار هذا الأخير قبل أن يكون ظاهرة عسكرية هو ظاهرة ثقافية فكرية تسعى إلى طمس معالم الشخصية العربية والوطنية من خلال تشويه صورة الشرق ولذلك تعد "النظرية ما بعد الكولونيالية ثورة فكرية ضد كل أنواع القهر الإنساني وليس القهر الإمبريالي السياسي فحسب مثل قهر المرأة والإنسان غير أبيض والفقير والضعيف، أما على مستوى الشكل الفني فقد أثبتت قدرتها على توظيف النظريات الأدبية والنقدية الأخرى بلا أية غضاضة أو حساسية وذلك على سبيل الاستفادة بكل الاتجاهات السابقة والمعاصرة"⁽²⁾ ومن هنا نجد أن الدراسات ما بعد الكولونيالية ليست دراسات منغلقة على ذاتها بل تتقاطع مع العديد من الاستراتيجيات والاتجاهات من خلال استعارة بعض الآليات لإجرائية المعتمدة في تحليل الخطابات الغربية، فالنظرية ما بعد الكولونيالية أو ما بعد الحداثة أو ما بعد البنيوية كلها تعبر عن مرحلة واحدة "فهناك تداخل واضح فيما بين نظريات المابعد مثل نظريات ما بعد الحداثة ن أو ما بعد النسوي، أو ما بعد البنيوي وما بعد الصناعية ولا يمكن أن تكون ما بعد الكولونيالية استثناء من هذا التداخل"⁽³⁾.

كما يحدد "ألان لوسسون" النظرية ما بعد الكولونيالية "بأنها حركة تاريخية وتحليلية ذات باعث سياسي يتصارع مع الكولونيالية ويقاومها بهدف إبطالها على المستويات المادية والتاريخية، والفكرية، والثقافية، والسياسية، والتعليمية، والنصية وهي نظرية أدبية لا تحدها بالضرورة أطر زمنية لأنها تنشر توجهاتها وتياراتها عبر الزمان والمكان في سياق شبه متناعم من المسرحيات، والروايات، والقصائد الشعرية، والأفلام والتي هي بمثابة تعبير نصي ثقافي عن مقاومة الاستعمار في شتى صورته"⁽⁴⁾.

فقد رافقت الدراسات ما بعد الكولونيالية أو ما بعد الاستعمار مرحلة ما بعد الحداثة، وعندما نقول ما بعد الحداثة لا يعني ذلك القطيعة مع مرحلة الحداثة ولكن لا بد من الانطلاق منها من أجل تشكيل تصورات جديدة تتناسب مع هذه المرحلة، فمرحلة ما بعد الحداثة مرتبطة بالتطورات الحاصلة التي مست المجتمعات في فترة الثلاثينات لذلك "لا يمكن القول أن ما بعد الحداثة هي الرؤية الفلسفية العامة، أما التفكيكية فهي بالمعنى العام أحد ملامح وأهداف هذه الفلسفة"⁽⁵⁾ حيث تعتبر التفكيكية من أبرز الأدوات الإجرائية للنظرية ما بعد الكولونيالية.

"على الرغم من تقاطع الأطر الزمنية لكل من ما بعد الكولونيالية وما بعد الحداثة وعلى الرغم من احتواء نصوص ما بعد الكولونيالية في الغالب على التقنيات الأدبية لما بعد الحداثة فإنه لا يمكن المرادفة بين المفهومين، إن ما بعد الحداثة تقوم في جزء من حيثياتها على تفكيك القيود التي تفرضها مفاهيم من قبل النوع الأدبي والسلطة والقيمة وهي قيود غالبا ما تكون مكتوبة، وإن استدعاؤها يحدث مرارا، أما برنامج عمل ما بعد الكولونيالية فهو أكثر تخصيصا ذي طابع سياسي إذ يقوم على تفكيك الحدود والمحددات التي تقوم على الهيمنة وتخلق علاقات القوة غير متكافئة تقوم تلك التقابلات الثنائية من قبيل هم ونحن، والعالم الأول والعالم الثالث، والأبيض والأسود والمستعمر والمستعمر"⁽⁶⁾ كما تتقاطع أيضا الدراسات ما بعد الكولونيالية مع النظرية ما بعد البنيوية، فبعد ما سيطرت البنيوية على الحقل الثقافي الغربي واتخذت لنفسها إستراتيجية قرائية خاصة بها تنظر للنص على أنه بنية مغلقة لا يجب النظر خارجه معتمدة في ذلك على تطبيقها الصارم لمبدأ المحايثة، ظهرت

النظرية ما بعد البنيوية والتي رسمت لنفسها هي الأخرى إستراتيجيتها القرائية الخاصة بها حيث تولى اهتماما كبيرا للثقافة وهو الأمر الذي تهتم به الدراسات ما بعد الكولونيالية.

ومن هنا نجد أن لازمة "الما بعد" تشكل "المعنى الأوسط لتلك البادئة ألا وهي النظرية ما بعد الكولونيالية تعرض لتنفيذ من خلال فهم أكثر تعمقا لأسلوب عمل ثقافات ما بعد الكولونيالية والذي يؤكد على الارتباطات المفصلية بين وعبر الفترات التاريخية المعرفة السياسية للثقافات ما قبل الكولونيالية وثقافات الكولونيالية"⁽⁷⁾ كما استخدم المصطلح أيضا "كطريقة لتنظيم نقد للأشكال الإجمالية للتاريخانية الغربية كمصطلح يتألف من دمج مصطلحين لفكرة معدلة عن الطبقة، كمجموعة فرعية لكل من ما بعد الحداثة و ما بعد البنيوية وكذلك بطريقة مكرسة كالحالة يمكن رؤية هاتين البنيتين المنطقية الثقافية والنقدية يظهران من خلالها"⁽⁸⁾.

فدراسات ما بعد الاستعمار تستهدف النصوص الغربية من خلال تفكيكها وإعادة قراءتها وتتبع جذورها وتشعباتها وارتباطاتها المعرفية، فهذه الدراسة قيل أن تكون ممارسة نقدية هي ممارسة قرائية للنصوص الغربية من خلال إعادة تجديده النظر في طبيعة النص عبر تجاوز المفاهيم الانغلاقية التي تعتبر كل ما تنتجه الثقافة الغربية يمثل مركز العالم ومن ثمة فإن ما بعد الكولونيالية "تمثل أثر نصيا وإستراتيجية للقراءة وغالبا ما تعمل الممارسة النظرية لما بعد الكولونيالية على مستويين فهي تحاول من جهة الإبانة عن حالة ما بعد الكولونيالية التي تنطوي عليها نصوص معينة وتحاول من جهة أخرى إمارة اللثام عن أية بنيات أو مؤسسات باقية من القوة الكولونيالية"⁽⁹⁾.

فقد سمحت هذه النظرية للنقاد بتجاوز تلك الحدود المحيطة بالنص إلى مجمل السياقات الخارجية التاريخية والنفسية والأيدولوجية، كما تهدف أيضا إلى إعادة قراءة التراث الغربي الأوروبي قراءة تعمل بموجبه التخلص من تلك المرويات الغربية السابقة وتقويض تلك الخطابات الغربية الاستعمارية، فتقويض الخطابات من بين أبرز المصطلحات الذي أطلقها الفيلسوف الفرنسي المعاصر جاك دريدا على القراءة النقدية التي اتبعها في مهاجمته الفكر الغربي الماورائي منذ بداية هذا الفكر حتى يومنا هذا، وقد حاول بعضهم نقل هذا المصطلح إلى العربية تحت مسمى التفكيك"⁽¹⁰⁾.

فالتفكيك من بين أهم المصطلحات التي جاء بها جاك دريدا الذي اعتبره عدد كبير من الباحثين أكبر صانع للمصطلحات وهو المصطلح الذي قام من خلاله بتفكيك مرتكزات الفكر الغربي من خلال نقده للنسق الغربي الشامل المسمى بالمركزية الغربية حيث يرى دريدا أن الفكر الغربي قائم على ثنائية ضدية عدائية تتأسس عليها ولا توجد إلا بهذه الثنائية، كثنائية العقل / العاطفة، العقل / الجسد، الذات / الأخر، المشافهة / الكتابة الرجل / المرأة، وما إلى ذلك وأن هذا الفكر دائما يمنح الامتياز والفوقية للطرف الأخر ويلقي بالدونية والثانوية على الطرف الثاني⁽¹¹⁾ ولهذا تهدف النظرية ما بعد الكولونيالية إلى تفكيك الخطابات الغربية التي تعتمد على هذه الثنائيات الضدية خاصة ثنائية (الأنا والآخر) (المركز والهامش) (الشرق والغرب) فهذه الثنائيات الضدية التي تستند إليها الثقافة الغربية لفرض هيمنتها تتفق على فكرة واحدة هي تغليب الأول على الثاني ولكن بمجرد إعادة تفكيك تلك الخطابات الغربية التي تحتوي على هذه الثنائية الضدية تظهر الثنائية الثانية من حيث أريد لها عدم الظهور لذلك نجد أن "القراءة الترميضية هي قراءة مزدوجة تسعى إلى دراسة النص مهما كان دراسة تقليدية أولا لإثبات معانيه الصريحة، ثم تسعى إلى تقويض ما تصل إليه من نتائج في قراءة معاكسة تعتمد على ما ينطوي عليه النص من معاني تتناقض مع ما يصرح به النص ويخفيه، بين ما يقول النص صراحة وبين ما يقوله من غير تصريح"⁽¹¹⁾ لذلك نجد أن ما بعد الكولونيالية تهدف بالدرجة الأساسية إلى مناهضة الخطابات الغربية الامبريالية وفي الوقت نفسه تقويض المركزية الغربية دون الاهتمام بالجوانب الجمالية. فإذا كانت ما بعد الحداثة جاءت مع فترة تسمى الحداثة وإذا كانت ما بعد النبوية أحدثت خلخلة في قواعد الفكر البنيوي، فإن ما بعد الكولونيالية هي إستراتيجية قرائية تهدف إلى تناول الثقافة الغربية وما ينطوي عليها من أشكال الهيمنة والتسلط ضد الأخر غير أوروبي فهي تعبر عن المرحلة التي انتقل فيها النقد الأدبي إلى النقد الثقافي والنص إلى الخطاب من خلال التخلص من ذلك التناول الجمالي للأدب.

فقد شكلت الكتابة المضادة نوع من المقاومة ضد كل أشكال الهيمنة والتسلط التي عملت الثقافة الغربية تكريسها عبر جميع خطاباتها حيث ظهر العديد من الكتاب الذين

ينتمون إلى ما يعرف بدول العالم الثالث ومن بين هؤلاء الكتاب نجد إدوارد سعيد الذي يعتبر من بين الكتاب الأوائل الذين ساهموا في إرساء دعائم الدراسات ما بعد الكولونيالية خاصة من خلال كتابه "الاستشراق" 1978م، والذي صار مجالاً أكاديمياً للدراسات الكولونيالية، ومن أهم الكتب النقدية في الثقافة المعاصرة حيث يهدف من خلاله إلى تفكيك الخطابات الغربية والكشف عن آليات السلطة والسيطرة التي تمارس ضد الشرق وعالمه. حيث يلجأ إدوارد سعيد إلى الكتابة كوسيلة للرد على تلك الخطابات الغربية الاستشراقية وفي الوقت نفسه التأكيد على هويته وانتمائه الشرقي، فالكتابة في بعض الأحيان تصبح "عمل مضاد من خلال مسعاها إلى تجاوز كل الآخرين ومحاولة نفيهم بواسطة اختلافها عنهم وتميزها عما لديهم" (12) لذلك يركز إدوارد سعيد من خلال كتاباته على الرد على تلك الخطابات الأوروبية الاستشراقية التي حاولت إظهار الشرقي في صورة الممجى والبربري واللاعقلاني وفي المقابل نفي كل هذه الصفات على نظيره الغربي فقد وصل سعيد إلى مرحلة أدرك من خلالها الخطورة التي تشكلها تلك الخطابات الاستشراقية الغربية التي تهدف إلى الإطاحة بالشرق وعالمه، فهي بالنسبة له تمثل "عمل تحريضي يجرس الذات ضد الآخر، وهي في الوقت ذاته تحريض للآخر ضد الذات" (13).

ومن هنا يمكننا القول أن كتاب الاستشراق فتح نوعاً جديداً من دراسة الاستعمار "يحتاج سعيد أن تمثيلات الشرق في النصوص الأدبية الأوروبية والمحاضرات المصورة للرحلات وكتابات أخرى ساهمت في خلق انقسام بين أوروبا والآخرين التابعين لها وهو انقسام مركزي في خلق الثقافة لأوروبية" (14) فقد أراد إدوارد سعيد إثبات أن الدراسات التي قام بها الأوروبيون حول الشرق هي التي ساهمت بشكل مباشر في السيطرة عليه وخلق تلك الصورة المركبة حوله "هذا إلى جانب هيمنة الأفكار الأوروبية على الشرق وهي التي تكرر القول بالتفوق الأوروبي على التخلف الشرقي، وهو القول الذي عادة ما يتجاهل إمكان وجود مفكر يتمتع بدرجة أكبر من الاستقلال والتشكيك وقد يكون له آراؤه المختلفة في هذا الأمر" (15) فتلك الخطابات الغربية تنفي كل القدرات العلمية والمعرفية عن الإنسان الشرقي وتجعله لا يساوي شيئاً، لذلك يحاول إدوارد سعيد التأكيد على ضرورة تفكيك

الخطابات الغربية التي تسعى دائما إلى تكريس تلك الصورة المبتدعة عن الشرق وكذلك الكشف عن تلك النزعات العدائية الماثورة في ثنايا تلك الخطابات الاستشراقية وتقويض مختلف المقولات المحددة للقيم والقواعد الغربية.

ولهذا تعتبر كتابات إدوارد سعيد في مجال الدراسات الاستعمارية من أهم روافد النقد الثقافي خاصة من ناحية الاستراتيجيات القرائية المشتركة والمعقدة والتي تهدف إلى تفكيك الأنساق المضمره داخل الخطابات الغربية خاصة فيما يتعلق بموضوع الذات الأوربية والأخر غير أوروبي وإبراز تلك الجوانب الخفية التي تنطوي عليها تلك الخطابات على اختلاف توجهاتها سواء السياسية أو الفلسفية أو الأدبية.

فقد حاول إدوارد سعيد الإمام بجميع الجوانب المتعلقة بدراسة واقع الثقافة الغربية ضمن الشروط الكولونيالية التي تفرض نفسها باستمرار داخل الخطابات الكولونيالية و التي تحصر وظيفة الخطاب الغربي في "افتراض تفوق حضارة المستعمر وتاريخه ولغته وفنه وتشكيلاته السياسية وعاداته الاجتماعية والتأكيد على حاجة المستعمر لأن يترقى عبر الاتصال الكولونيالي ، ويعتمد الخطاب الكولونيالي بصورة خاصة على أفكار العرق التي تبرز مع ظهور الامبريالية الأوربية"⁽¹⁶⁾ فقد جعلت الثقافة الغربية من هذه الخطابات وسيلة لتشجيع على استعمار الدول غير أوربية بحجة أن هذه الدول لا يمكن أن ترتقي إلا عن طريق الاتصال بهذه الدول الغربية التي تدعي الفوقية والتميز عن باقي الدول الأخرى "فالخطاب الكولونيالي متضمن بدرجة كبيرة في أفكار مركزية القارة الأوربية وبالتالي في الافتراضات التي غدت واسمه لنزعة الحداثة أي الافتراضات بشأن التاريخ واللغة والأدب والتكنولوجيا وعلى ذلك فالخطاب الكولونيالي منظومة من المقولات التي يمكن إطلاقها على المستعمرات والشعوب المستعمرة وعن القوى المستعمرة وعن العلاقة بينهما"⁽¹⁷⁾ وفي هذا تأكيد صريح بأن الثقافة الأوربية لها القدرة على التفوق على جميع الشعوب التي تقع خارج المنظومة الغربية في جميع التخصصات الثقافية والفكرية والاقتصادية والسياسية حيث جعلت من هذه الخطابات الغربية الاستعمارية أسلوب مبتكر للاستعمار وفرض الهيمنة والتسلط بمختلف أشكاله فالخطاب الاستعماري "ليس مجرد مصطلح وهمي للاستعمار انه بالأحرى

يدل على طريقة جديدة في التفكير تشترك فيها عمليات ثقافية فكرية واقتصادية أو سياسية معا⁽¹⁸⁾ لذلك يسعى ادوارد سعيد إلى البحث عن العلاقة بين الاستعمار والخطابات الغربية المبينة في معظم الأحيان على تشجيع القوة التي تمارسها الدول الغربية على دول المستضعفة.

فما يهم ادوارد سعيد في ظاهرة الاستشراق ليس التطابق الكلي بين المعرفة الاستشراقية وبين الشرق ككيان له وجوده وإنما يركز على علاقة السلطة في خلق تلك النظرة المبتدعة عن الشرق بوصفه كيان بربري وهمجي، فالاستشراق بالنسبة لادوارد سعيد ما هو إلا "مؤسسة تتعامل مع الشرق من خلال العبارات والرؤى السلطوية، ووجهات النظر والأوصاف التي تقوم بها من خلال المعرفة الاستشراقية والأساس المنطقي للاحتلال الكولونيالي والإدارة التي يوفرها الاستشراق وهو النمط الغربي من الهيمنة والسلطة التي من خلالها يعاد هيكله الشرق"⁽¹⁹⁾ فقد ساهم الاستشراق مساهمة كبيرة في إعادة هيكله الشرق وفق المنظور الذي يريده ويخدم مصالحه الغربية الامبريالية، فادوارد سعيد لا يركز على مدى مصداقية الاستشراق في تصوير الشرق وإنما يركز على الأنساق المضمره داخل تلك الخطابات الاستشراقية حيث يقول "أن ظاهرة الاستشراق التي أدرسها ليس موضوعها مدى صدق الاستشراق في تصوير الشرق الحقيقي ولكن موضوعي الرئيسي هو الاتساق الداخلي للاستشراق والأفكار التي أتى بها عن الشرق (كالقول بأن الشرق حياة علمية) بغض النظر عن أي صدق أو كذب في تصوير الشرق الحقيقي"⁽²⁰⁾ فما يهمه ليس ظاهرة الاستشراق كدراسات وبحوث أكاديمية وإنما يركز على نقد العقل الغربي الاستشراقي من خلال تحليل وتفكيك تلك الأفكار التي أتى بها المستشرقين الأوروبيين عن الشرق.

فقد جعل ادوارد سعيد الغرض الأساسي من كتاب الاستشراق هو نقد العقل الغربي من خلال "توضيح الاستشراق وتحليله وتأمله باعتباره صورة من صور ممارسة القوة الثقافية"⁽²¹⁾ كما يرى "أنه من الأفضل عدم المخاطرة بتعميمها حول هذه الفكرة بالغة الأهمية أي القوة الثقافية حتى تنتهي من تحليل قدر كبير من المادة ولكننا نستطيع أن نقول في البداية إن الغرب قد افترض في القرنين التاسع عشر والعشرون أن الشرق وكل ما فيه يحتاج إلى دراسة تصحيحية من قبل الغرب"⁽²²⁾ حيث ينظر إدوارد سعيد للخطابات

الاستشراقية "على أنها من أهم المظاهر التي تكشف مظهرها من مظاهر العقل الغربي في إعادة صياغة الآخر، وفق رؤية محددة وعبر منظور خاص بما يرافق منظور العقل العربي" (23) وإثبات أن هذه الخطابات الاستشراقية على الرغم من ادعاء أنها تمتاز بالدقة العلمية والموضوعية في مجمل أبحاثها ودراساتها التي قامت بها عن الشرق وعالمه، إلا أننا نجد أن يحاول إثبات عكس ذلك "ففي كتاب الاستشراق أثبت أن مفاهيم الغرب عن الشرق قد أطر مفهوم الشرق ليصبح مؤسسة ثقافية رغم أن الدراسات الاستشراقية ادعت العلمية المحايدة وأنها تتعامل مع الشرق كوجود موضوعي" (24) ومن المطلق نجد أن تركيز الاستشراق على خدمة المصالح الثقافية الغربية أدى بشكل مباشر إلى "افتقار الخطابات الاستشراقية إلى الموضوعية ومروره عبر مرشح ثقافته وتلونه بأهوائها وأغراضها ومصالحها" (25).

يرى إدوارد سعيد أن الاستشراق "خطاب أو إنشاء لكنه لا يعكس حقائق ووقائع بل يصور تمثلات وألوان من التمثيل حيث تتخفى القوة والمؤسسة والمصلحة انه خلق جديد للآخر أو إعادة إنتاج له على صعيد التصور والتمثيل" (26) فهو يحاول إثبات أن المعرفة الاستشراقية ليست بريئة كما تبدو لكونها تتداخل مع مصالح ثقافية وعلاقات استعمارية لذلك يجاحج بأن "معرفة الشرق لا يمكن أن تكون بريئة أو موضوعية لأن الذين أنتجوها هم بشر كانوا بالضرورة مطوقين بالتاريخ والعلاقات الاستعمارية" (27) فهو يعتبر تلك الدراسات الأوروبية عن الشرق من إنتاج البشر وهذا الأخير عادة ما يفتقر للموضوعية لكونه تتحكم فيه العديد من العوامل قد تكون ذاتية أو سياسية أو عسكرية، فالاستشراق وفقا لإدوارد سعيد ما هو إلا نتاج الجغرافيا الخيالية لهؤلاء الغربيون الذين يحاولون خدمة مصالحهم الثقافية الغربية من خلال خلق ذلك التفاوت بين الحضارات حيث يستطيع الاستشراق التعبير عن "قوة الغرب وضعف الشرق من وجهة نظر الغرب بصورة توازي هذه الصورة بالغة التزييف لسلسلة القيادة البشعة" (28).

فالاستشراق يتداخل مع العديد من المجالات العلمية والمعرفية المختلفة ويشكل من خلال ذلك علاقات وطيدة مبنية في معظمها على السلطة، وقد تكون هذه السلطة سياسية، أو السلطة العسكرية وقد تتجاوز ذلك كله إلى سلطة الأفكار وسلطة الأخلاق

لكون الاستشراق "خطاب يأتي إلى الوجود ويجيا في إطار التبادل المتقلب مع شتى أنواع السلطة، فيتشكل إلى حد بعيد من خلال مبادلاته مع السلطة مثل (المؤسسات الاستعمارية أو الإمبريالية) والسلطة الفكرية مثل (العلوم السائدة كالغويات المقارنة أو التشريح أو أي من العلوم السياسية الحديثة) والسلطة الثقافية مثل (المناهج الصحيحة والمعتمدة للذوق والنصوص والقيم) والسلطة الأخلاقية مثل (الأفكار الخاصة بما نفعله نحن ولا يستعظون هم أن يفعلوه أو يفهموه مثلنا نحن) والواقع أن حجتي الحقيقية هي أن الاستشراق بعد مهم من أبعاد ثقافتنا السياسية الفكرية الحديثة"⁽²⁹⁾.

فإدوارد سعيد يتجاوز المفهوم التقليدي الاستشراق بمعناه المتعارف عليه عند أغلب الدارسين والمتخصصين في هذا المجال، والذين يحدون في كونه مجرد مجموعة من الدراسات والأبحاث الأكاديمية المختلفة والمتنوعة حول الشرق وعالمه ويربط بينه وبين ممارسة السلطة بمختلف أنواعها، ويحاول التركيز من خلال ذلك على الهدف الحقيقي من هذه الدراسات الاستشراقية حيث أصبح الاستشراق في نظره أسلوب للتفكير "تدعمه مؤسسات ومفردات وبحوث علمية وصور ومذاهب فكرية بل وبيروقراطية استعمارية وأساليب استعمارية"⁽³⁰⁾ تؤكد على الارتباط الوثيق بين الخطابات الاستشراقية والأهداف الاستعمارية وذلك كله من أجل السيطرة على الشرق.

كما يرى إدوارد سعيد أن ذلك كله قد انعكس بشكل مباشر في كتابات العديد من الباحثين على اختلاف توجهاتهم حيث يقول أن هناك "عدد بالغ الكثرة من الكتاب من بينهم شعراء وروائيين وفلاسفة وأصحاب نظريات سياسية واقتصاديون ومدبرون وإمبراليون قد قبلوا التمييز الأساسي بين الشرق والغرب باعتباره نقطة انطلاق لوضع نظريات منفصلة وإنشاء ملاحم وكتابات روايات وأوصاف اجتماعية ودراسات سياسية عن الشرق وأهله وعاداته وعن عقله ومصيره وهلم جرا"⁽³¹⁾ وذلك كله من أجل الفصل المطلق بين عامي الشرق والغرب والتأكيد على فكرة السمو العرقي الغربي.

في حين نجد أن إدوارد سعيد لا يؤمن بهذا التقسيم (الشرق، الغرب) ويرى أن هذا التقسيم لا يحتكم لأي معيار موضوعي وفي الوقت نفسه يرى أن فكرة الشرق هي فكرة

مختزعة ومبتدعة من طرف الغرب وقد استندوا لهذا التقسيم لإثبات وجودهم وتفوقهم على باقي الشعوب الأخر التي تقع خارج المنظومة الغربية والتي يعتبرونها أقل منهم كفاءة وتطور حيث يقول أن "الحجة التي أطرحها تقول أننا ما لم نتفحص الاستشراق باعتباره لون من ألوان الخطاب فلن نتمكن مطلقا من تفهم المبحث البالغ الانتظام الذي مكن الثقافة الغربية من تدبر أمور الشرق بل وابتداعه في المجالات السياسية وعلم الاجتماع وفي المجالات العسكرية والإيديولوجية والعلمية والخيالية في الفترة التالية لعصر التنوير"⁽³²⁾ حيث يعتبر إدوارد سعيد فكرة الشرق المبتدع أرضية خصبة تنطلق منها الدراسات الاستعمارية لتأكيد على مركزيتها الغربية.

فبالنظر إلى هوية الذات الغربية نجد أنها قد تشكلت في مرحلة الاستعمار حيث حددت معالم شخصيتها ورسمت تمحورها حول ذاتها وذلك كله نتيجة اتصالها المباشر بالشرق، حيث أصبح هناك ثنائيات متناقضة الأنا الغربية المتطورة الأخر الشرقي المتخلف الذي لا يزال تحت وطأة الاستعمار، لذلك يرى إدوارد سعيد أن الشرق ليس عاجزا عن إثبات ذاته بل الغرب هو الذي فرض عليه تلك الصورة المبتدعة نتيجة الاستعمار سواء العسكري أو الثقافي والفكري حيث يقول "كانت نقطة انطلاقي في افتراض أن الشرق ليس من الحقائق القاصرة ذاتيا في الطبيعة بمعنى أنه لا يقتصر عن كونه موجود فحسب مثلما لا يقتصر مفهوم الغرب على أنه موجود فحسب، وعلينا أن نأخذ مأخذ الجد الملاحظة الثاقبة التي أبداها فيكو والتي تقول إن البشر هم الذين صنعوا ويصنعون المحليات والمناطق والقطاعات الجغرافية من أمثال الشرق والغرب فكل منهما كيان جغرافي ثقافي ناهيك عن كونه كيان تاريخيا، وهكذا فإن الشرق شأنه في هذا شأن الغرب نفسه يمثل فكرة لها تاريخ وتقاليد فكرية، وصور بلاغية ومفردات جعلتها واقعا له حضوره في الغرب وأمام الغرب"⁽³³⁾ وهنا يحاول إدوارد سعيد إلغاء تلك المحددات الثقافية الغربية الغرب المتطور والشرق المتخلف وإثبات أن للشرق كيانه وتاريخه شأنه في ذلك شأن الغرب، حيث سمحت الدراسات ما بعد الكولونيالية للشرق التأسيس لهويته من جديد فإذا كانت الفترة الاستعمارية ساعدت على تبلور المركزية الغربية فإن مرحلة ما بعد الكولونيالية أو ما بعد الاستعمار ساعدت الشرق على إثبات وجوده من خلال التأكيد على هويته.

ومن هنا نجد أن الفكرة الأساسية التي يستند إليها ادوارد سعيد في كتابه الاستشراق هي اعتبار أن الخطابات الاستشراقية هي عبارة عن خطابات استعمارية تسعى إلى خدمة المصالح الثقافية الغربية والامبريالية بالدرجة الأساسية من خلال التأكيد على تلك النظرة المتبذعة حول الشرق وعالمه، كما يرى أن الثقافة الغربية زادت قوتها عند اتصالها بالشرق عن طريق الاستعمار بنوعية العسكري والثقافي لذلك أخذ على عاتقه مهمة تحليل كل "ما بلورته الثقافة الغربية في مختلف المجالات من نتاج يعبر عن توجهات استعمارية إزاء مناطق العالم الواقعة خارج نطاق الغرب على أساس أن ذلك الإنتاج يشكل في مجمله خطابا متداخلا بالمعنى الذي استعمله فوكو لمصطلح الخطاب"⁽³⁴⁾ فمن أبرز الأمور التي جاء بها ميشيل فوكو تحديده لمفهوم الخطاب من خلال ربط هذا الأخير بالصراعات الاجتماعية والسياسية فمن أهم أتباع ميشيل فوكو "المتميزين في أمريكا هو ادوارد سعيد الذي يجذبه وضعه الفلسطيني إلى الصيغة التشوية التي وضعها فوكو لما بعد النيووية لأنها صيغة تتيح له ربط نظرية الخطاب بالصراعات الاجتماعية والسياسية والفعالية فهو في كتاب الاستشراق يبين كيف أن الصورة الغربية عن الشرق، تلك الصورة التي صاغتها أجيال من المشتغلين بالعلم، تنتج أساطير عن كسل الشرقيين وخداعهم ونزعتهم الأبعقلانية، ويتبع و يتبع سعيد منطق نظريات فوكو بتحديد هذا الخطاب الغربي عن الشرق"⁽³⁵⁾.

فإدوارد سعيد يستند إلى المفهوم الذي وضعه ميشيل فوكو من أجل تفكيك تلك الخطابات الغربية حيث يقول "وقد انتفعت هنا بالفكرة التي طرحها ميشيل فوكو عن الخطاب على نحو ما عرضها في كتابه علم آثار المعرفة وفي كتابه الآخر التأديب والعقاب في تحديدي لمعنى الاستشراق"⁽³⁶⁾ وكشف زيف المعرفة الاستشراقية حيث يستعمل كتاب الاستشراق مفهوم الخطاب من أجل "إعادة تنظيم دراسة الاستعمار، انه يفحص كيف دجت الدراسة الرسمية للشرق لما يشار إليه اليوم بالشرق الأوسط بالإضافة إلى نصوص أدبية وثقافية وسياسية وطرق معينة من الرؤية والتفكير ساهمت بدورها في عمل السلطة الاستعمارية، وتلك أمور لم يتم الخللون التقليديون للاستعمار بدراستها ولكن الآن وبفضل كتاب الاستشراق ووجهات النظر المتغيرة حول الإيديولوجيات والثقافة التي رسمناها

فيما سبق يمكن اعتبارها مركزية لقيام وعمل المجتمعات الاستعمارية⁽³⁷⁾ ومن هذا المنطلق يسعى إدوارد سعيد إلى تعرية الخطابات الاستعمارية من خلال الكشف عن مختلف آليات السلطة والسيطرة التي تتوسلها الخطابات الغربية من أجل إقصاء الشرق وكل ما ينتمي إليه "المعرفة ليست بريئة، لكنها ترتبط بعمق مع عمليات السلطة هذا التبصر الفوكوي يمنح عمل سعيد التأسيسي الاستشراق جوهره، مما يظهر إلى أي درجة كانت المعرفة حول الشرق من حيث إنتاجها ونشرها شيئا أيديولوجيا ملازما للسلطة الاستعمارية"⁽³⁸⁾.

ومعرفة وفهم الأرضية التي تنطلق منها الدراسات ما بعد الكولونيالية لا بد من الفهم الجيد للمركزية الغربية التي لا تؤمن بثقافة الاختلاف وتؤكد على فكرة السمو العرقي للشعوب الأوربية وترى أن للغرب خصوصيته التي تميزه عن غير من الشعوب والكائنات الأخرى التي تقع خارج المنظومة الغربية" فلم يكن سبب اكتساب الشرق للصورة التي رسم بها يقتصر على أن من رسموه اكتشفوا أنه يمكن أن يصبح شرقيا بالصورة الشائعة لدى الأوربيين العاديين في القرن التاسع عشر، ولكنه يتجاوزها إلى اكتشاف إمكان جعله كذلك أي إخضاعه لتلك الصورة الجديدة للشرق⁽³⁹⁾ وهو التصور الذي نتج عنه ذلك التفريق بين الشرق والغرب من خلال وضع الشرق في صورة البربري والمتخلف وفي المقابل الغرب المتطور والمتحضر" فلم يكن العنف الاستعماري في شكل إبادات فحسب بل تعداها إلى تشويه صورة الآخر المستعمر فقد جعله شرا مطلقا، انه عنصر متلف يدمر كل ما له صلة بالجمال والأخلاق⁽⁴⁰⁾ وفي المقابل إسقاط جميع هذه الصفات على نظيره الأوربي" الذي يحكمه الاستدلال الدقيق، وذكره للحقائق لا يشوبه أي غموض فهو منطقي بالفطرة حتى ولم يكن درس المنطق، وهو بطبيعته شكاك ويطلب البرهان قبل أن يقبل الصدق أي القول، ودكاؤه المدرب يعمل عمل الآلة المنضبطة أما عقل الشرقي فهو يشبه شوارع الخلابه المظهر، أي يفتقر إلى أي تناسق، والاستدلال لديه أبعد ما يكون عن الإلتقان⁽⁴¹⁾ الأمر الذي جعل ادوارد سعيد يؤكد على فكرة التعدد الثقافي في الوقت الذي كان الاهتمام بها شبه معدوم من خلال "مواجهة التراكم الكثيف من التماهي الذاتي والولاء الاجتماعي والتراثي، والعرقي والمناطقية واللغوي الذي أنتجته قرون طويلة من الجهل"⁽⁴²⁾ لأن التأكيد

على فكرة التعدد الثقافي يلغي ذلك التحديد الثقافي الغربي ويقضي على فكرة الأحادية الغربية ففي الواقع نجد أن "أي تضاد ثنائي بسيط بين المستعمرين والمستعمرين أو بين الأعراق يوهنه حقيقة وجود اختلافات ثقافية عرقية"⁽⁴³⁾.

كذلك يعد كتاب "الثقافة والامبريالية" 1993م لادوارد سعيد أحد المتون الأساسية لدراسات ما بعد الكولونيالية والذي يراجع فيه ما تم إغفاله في كتاب الاستشراق ففي هذا الأخير حاول فضح الخطابات الاستشراقية أما في كتاب الثقافة والامبريالية فيحاول من خلاله تفكيك النصوص الغربية الامبريالية حيث يقول كمال أبو ديب مترجم هذا الكتاب أنه "ينبغي ألان للثقافة والامبريالية الذي يقوم فعليا بموضعة المشكلات التي عاجلها الاستشراق في سياق واسع، وإذا كان لتفاؤلي ما يسوعه أن يعيد إحياء المناظرة حول السيطرة والمقاومة وحول التاريخ والجغرافيا، وحول استخدامات الثقافة ومحاولات التفكير بالتحريز وجميع هذه الأمور متمركزة في اللباب من الاستشراق"⁽⁴⁴⁾ فكتاب الثقافة والامبريالية ينتمي بعمق للدراسات ما بعد الكولونيالية حيث يعتمد على إستراتيجية النقد الثقافي في مقارنة نصوص أدبية من خلال تركيزه على الثقافة والسلطة والهيمنة والاستعمار ودورها في تكريس فكرة العرقية والعنصرية على الشعوب المستعمرة مقترحا في الوقت نفسه استراتيجيات للمقاومة ومحاربة العنصرية وتقويض المركزية الغربية حيث يترجم إدوارد سعيد "فيه إيمانه بالإنسان والحرية وضرورة التواصل والتفاعل والإثراء المتبادل بين الثقافات والمجتمعات والصراع ضد الاستعلائية والاستعمار والإمبريالية والهيمنة والتسلط والمركزية الغربية"⁽⁴⁵⁾ كذلك يسعى إلى فضح الخطابات الغربية من خلال استجلاء العلاقة بين الثقافة والإمبريالية وطرق اشتغالها ففي نظره "ليست الإمبريالية وليس الاستعمار مجرد فعل بسيط من أفعال التراكم والاكتماب فكل منهما مدعم ومعزز بل وربما كان أيضا مفروضا من قبل تشكيلات عقائدية تشمل مفاهيم فحواها أن بعض البقاع والشعوب تتطلب وتتضرع أن تخضع للسيطرة، إضافة إلى أشكال من المعرفة متواشجة مع السيطرة"⁽⁴⁶⁾ فهو يحاول من خلال ذلك التأكيد على مبدأ الحرية وضرورة التواصل والتفاعل بين الثقافات والمجتمعات ففكرة التعددية الثقافية أو ما يعرف بالهجنة لا تؤدي إلى السيطرة والعداوة بل على العكس من ذلك تؤدي إلى المشاركة وتجاوز الحدود بين الحضارات فمن قواعد التعايش السليم بين

البشر الإيمان بوجود اختلافات ثقافية وفكرية على عكس ما يراه صامويل هنتغتن الذي يحاول من خلال أفكاره إقناع العالم بأن الصدام وممارسة العنف أمر محتتم، فهو يربط بين الفضاء الجغرافي وبين الرواية وبين الحركة التوسع الإمبراطوري وازدهار الرواية.

فقد قام ادوارد سعيد في هذا الكتاب (الثقافة والإمبريالية) بمناقشة جميع أوجه السلطة والهيمنة الثقافية التي تمارسها الدول الغربية على دول العالم الثالث فالثقافة بالنسبة له منظومة تظم في سياقاتها العديد من الأساليب الاستعمارية، فهي ليست متعالية عن الواقع كما تبدو لأول وهلة بل تربطها علاقة قوية مع السلطة من خلال النفاذ إلى ثقافة الأخر والسيطرة عليه واستعمارهم وتهميش ثقافتهم، فالثقافة بالنسبة له "فكرة فضفاضة بالطبع ولكن الثقافة ككتلة منهجية ذات دلالة سياسية واجتماعية وتاريخية أيضا"⁽⁴⁷⁾ لذلك يركز على نقد جميع أشكال الهيمنة الثقافية التي تخدم الإمبراطوريات الغربية الإمبريالية، التي تسعى إلى المحافظة على ذلك الاتصال القائم على الاستعمار "فهذا الاتصال هو الشرط الأساسي في خطة الاستعمار الإستراتيجية التي تقتضي في حالة التطبيق أولاً أن يضرب الاستعمار كل قوة مناهضة له تحت أية راية تجمعته، ثانياً أن يحول في كل الظروف بينها وبين أن تتجمع تحت راية أكثر فاعلية وهذان الشرطان يحددان إستراتيجية الاستعمار في الصراع الفكري في البلاد المستعمرة"⁽⁴⁸⁾ ومن هذا المنطلق يهدف إدوارد سعيد إلى الكشف عن تلك الاستراتيجيات الاستعمارية الغربية من خلال تفكيكه للعديد من الخطابات الغربية ويركز في ذلك على كتابات ألبير كامو حيث درس أعماله التي تكشف توجهاته الثقافية والاستعمارية في كتابه الثقافة والإمبريالية تحت عنوان "كامو والتجربة الاستعمارية الفرنسية" حيث يكشف إدوارد سعيد أن كتابات ألبير كامو تسعى إلى تكريس الأنساق الثقافية الغربية من خلال تمجيده لنسق الثقافي الشامل أو ما يسمى بالمركزية الغربية "إذ يكشف أن الجوهر من عمل كامو هو الدفاع عن الإمبريالية الفرنسية وإلغاء التاريخ السابق عن استعمار فرنسا يسير المكونات الأساسية لعمل كامو في إطار إشكاليات معرفية مرتبطة بمنظوره الإمبريالي"⁽⁴⁹⁾.

ولقد تجسد ذلك بشكل واضح في رواية الغريب 1942م الذي اعتبرها العديد من النقاد من أكثر الروايات مقروئية في العالم من خلال تمثيل العلاقة بين الأنا والأخر حيث

يكشف إدوارد سعيد من خلال هذه الرواية الرغبات الامبريالية والاستعمارية، على الرغم من تلك الجوانب الجمالية التي تتخللها فتفكيك هذه الخطابات كما ناقشنا سابقا "يجعل من الممكن تتبع الصلات بين الظاهر والخفي والمهيمن والمهمش والأفكار والمؤسسات انه يسمح لنا رؤية عمل السلطة من خلال اللغة والأدب والثقافة التي تضبط حياتنا"⁽⁵⁰⁾ حيث لا يمكن فهم كتابات كامو إلا من خلال ربطها بسياقها التاريخي "فما نجد في تلك النصوص التي تدعي الدقة التاريخية والعلمية هو تعظيم للأفكار التي تستمد قوتها من وجودها مستقرة ودفينة داخل سياقات تحمل كما معيننا من المعلومات التاريخية والعرقية"⁽⁵¹⁾ ومن هنا يظهر أن تركيز إدوارد سعيد في كتابه الثقافة والإمبريالية كان منصب على السرد الروائي حيث يحاول الكشف عن دور الرواية في توسيع الاستعمار من خلال خدمة مصالح الثقافة الغربية الامبريالية والتي يعتبرها شكلا ثقافيا يسعى إلى تكريس الاستعمار حيث يقول "لقد تناولت بشكل خاص أشكالاً ثقافية كالرواية أعتقد أنها كانت عظيمة الأهمية في صياغة وجهات النظر والإشارات والتجارب الإمبريالية"⁽⁵²⁾.

فقد ربط إدوارد سعيد بين الرواية وخدمة المصالح الامبريالية ربطا مطلقا حيث يرى بأن الرواية هي أكثر الأشكال الأدبية الرئيسية حداثة زمنيا وان نشؤها هو الأكثر قابلية للتاريخ وحدوثها هو الأكثر غريبة ونسقتها المعياري للسلطة الاجتماعية هو الأكثر بنية، ولقد حضنت الرواية والإمبريالية إحداها الأخرى إلى درجة يستحيل معها تبعا لما أطره قراءة إحداها دون التعامل بطريقة ما مع الأخرى"⁽⁵³⁾ لذلك نجد على الأعمال الروائية بالدرجة الأساسية في نقده للفرضيات التي تقوم عليها رؤى المركزية الغربية ويربط بين "الأدب والكتابة والدرس بصفة عامة وبين النزعات المنحطة التي يدينها الغربيون بألسنتهم ويؤيدونها في قلوبهم وأفعالهم حتى العصر الحالي بل حتى هذه اللحظة مثل النزعة العنصرية والتعصب العرقي تحديدا ومثل لأطماع المادية الاستعمارية القائمة على الجشع المحض ومثل نشدان التسلط والسلطان لذاته وهو ما يتجلى في بناء الإمبراطوريات أي الإمبريالية وما إلى ذلك"⁽⁵⁴⁾.

وقد تجسد هذا أيضا في كتابات وليام شكسبير خاصة في مسرحيته العاصفة والتي يعتبرها إدوارد سعيد ذات حمولة ثقافية وفكرية غربية، يحاول من خلالها وليام شكسبير إثبات مركزيته الغربية وتمحوره حول ذاته حيث "تبرز مسرحيات شكسبير باعتبارها أهداف للخطاب النقيض وذلك ضمن المحاولات ما بعد الكولونيالية العديدة لإعادة معالجة النصوص المعتمدة ولقد كان تداول كتب شكسبير داخل الدائرتين التعليمية والثقافية قوة لها هيمنتها عبر تاريخ الإمبراطورية"⁽⁵⁵⁾ فالخطابات المشحونة بالفكر الكولونيالي بحسب إدوارد سعيد هي بمثابة المؤسسات التعليمية عند الغرب لذلك نجد أن "الصناعة الشكسبيرية في تأثيرها على الأنظمة التعليمية والخطابات النقدية والثقافة المسرحية مجتمع ما غالبا ما تعمل على نحو يدعم أفكار وقيما و أنساق معرفية تعد غربية على المتلقين ومن ثم تربط بينهم ارتباطا وثيقا وليس لها وظيفة سوى دعم مصالح الإمبريالية"⁽⁵⁶⁾.

فإدوارد سعيد يسلط الضوء على قضية خدمة الأدب للمصالح الغربية الامبريالية ولقد تجسد ذلك أيضا في رواية قلب الظلام لجوزاف كونراد حيث تحشد هذه الرواية "قلب الظلام بالإشارة إلى الرسالة التحضيرية إلى المخططات سخية خيرة وأخرى قاسية فضة لإحضار النور إلى الأمكنة والشعوب المظلمة في هذا العالم وذلك بالأفعال الإرادية واستخدام القوة وتوظيفها"⁽⁵⁷⁾ حيث تتكرر مقولات القوة والسيطرة في جميع الخطابات الغربية على اختلاف أنواعها من أجل التأكيد على أفضليتها على باقي شعوب العالم "فصحيح أن جمهور كونراد كان صغيرا، وصحيح أيضا أنه كان حاد النقد للاستعمار البلجيكي لكن بالنسبة لمعظم الأوربيين كانت قراءة نص متشظي نوعا ما مثل قلب الظلام هي في الكثير من الحالات أشد النقاط التي ييغونها قريبا من إفريقيا وبهذا المعنى المحدود فقد كانت جزء من السعي الأوربي لتثبيت بأفريقيا"⁽⁵⁸⁾.

خاتمة:

ساهمت الدراسات ما بعد الكولونيالية في تبني مشروع كتابي يهدف بالدرجة الأساسية إلى مناهضة الخطابات الغربية الكولونيالية، من خلال تجاوز نظام القراءة التقليدي إلى نظام أكثر فعالية والذي يعتمد على تفكيك وتقويض النصوص الغربية الإمبريالية وهي ضرورة

أدبية ونقدية فرضتها الكتابات المضادة والمناهضة لتلك الخطابات الغربية ومن ذلك كتابات إدوارد سعيد الذي يعتبر من النقاد الأوائل الذين حملوا على عاتقهم مهمة إعادة النظر في الإرث الأدبي الغربي وبالتحديد الكولونيالي من خلال نقد النسق الغربي الشامل ما يسمى بالمركزية الغربية.

فإدوارد سعيد من أهم محلي الخطاب الاستعماري ، من أهم منظري أيضا ما بعد الاستعمار فقد صار كتابي "الاستشراق والثقافة والإمبريالية" كتابين تأسيسيين لنظرية ما بعد الكولونيالية من خلال إبراز المحتوى التاريخي والثقافي للهيمنة الغربية، وفي الوقت نفسه محاولة الرد على تلك الخطابات الاستعمارية الإمبريالية التي تهدف إلى طمس معالم الشخصية العربية والوطنية، فقد اقتنع بخطورة تلك الخطابات الغربية التي تسعى إلى تشجيع الاستعمار بطريقة غير مباشرة من خلال إثبات أن المعرفة ليست بريئة كما تبدو بل تسعى خدمة مصالح الثقافة الغربية الإمبريالية بالدرجة الأساسية.

الهوامش والإحالات

- (1) - ك،تلوف وآخرون، موسوعة كمبيريج في النقد الأدبي القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، تر إسماعيل عبد الغاني، المجلس الأعلى للثقافة، ج9، ط1، 2005 م، ص339
- (2) - نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لو نجمان، ط1، 2003م ص557.
- (3) - المرجع نفسه ص 550.
- (4) - المرجع نفسه ص 549.
- (5) - عبد الوهاب الميسري، فتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر أفاق معرفة متجددة بيروت، لبنان، ط2، 2010م، ص81.
- (6) - هيلين جيلبرت، جوان تومكينز، الدراما ما بعد الكولونيالية النظرية والتطبيق والممارسة، تر: سامح فكري، مركز اللغات والترجمة أكاديمية الفنون المصرية، القاهرة، مصر، دط، دت، ص4.
- (7) - بيل أشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية، تر أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة القاهرة، مصر، ط1، 2010م، ص284.
- (8) - المرجع نفسه ص 285.
- (9) - هيلين جيلبرت، جوان تومكينز، الدراما ما بعد الكولونيالية النظرية والتطبيق والممارسة، ص03.

- (10) – ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2، 2002م، ص107.
- (11) – المرجع نفسه، ص108.
- (12) – المرجع نفسه، ص108.
- (13) – عبد الله الغدامي، الكتابة ضد الكتابة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص07.
- (14) – المرجع نفسه ص07.
- (15) – أنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار، تر محمد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع ط1، 2007م، ص56.
- (16) – إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 2006م، ص51.
- (17) – بيل أشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية، ص101، 102.
- (18) – المرجع نفسه، ص101.
- (19) – أنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار، ص64.
- (20) – وليام هارت، إدوارد سعيد والمؤثرات الدينية الثقافية، تر: قصي أنور الذيبان، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط1، 2011م، ص103.
- (21) – إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية عن الشرق، ص48، 49.
- (22) – المرجع نفسه، ص97.
- (23) – المرجع نفسه، ص97.
- (24) – عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 1999م، ص171.
- (25) – ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص142.
- (26) – صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي دراسات نظرية وقرارات تطبيقية، دار الشرقيات للنشر والتوزيع القاهرة، مصر، ط1، 1996م، ص164.
- (27) – سالم يفوت، حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط1، 1989م، ص08.
- (28) – ويليام هارت، إدوارد سعيد والمؤثرات الدينية للثقافة، ص102.
- (29) – إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ص104.
- (30) – المرجع نفسه ص58، 59.

- (31) – المرجع نفسه، ص 44
- (32) – المرجع نفسه، ص 41
- (33) – المرجع نفسه، ص 46
- (34) – المرجع نفسه، ص 48
- (35) – ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص 158.
- (36) – رمان سلدان، النظرية الأدبية، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر دط ، 1998م، ص 156.
- (37) – إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ص 46.
- (38) – أنيا لومبا، في نظرية الاستعمار، ص 55.
- (39) – المرجع نفسه، ص 54.
- (40) – إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ص 49.
- (41) – فرانز فانون، معذبو الأرض، جمال الأتاسي، مدارات للأبحاث والنشر، ط 1، 2014، ص 07.
- (42) – إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ص 94.
- (43) – كليفورد غيرتر، تأويل الثقافات، تر: محمد بدوي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ط 1، 2009، ص 475.
- (44) – أنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار، ص 113.
- (45) – إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبوديب، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط 4، 2014، ص 10، 09.
- (46) – المرجع نفسه ص 13
- (47) – المرجع نفسه ص 80
- (48) – إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد، تر: عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط 2000م، ص 13.
- (49) – مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر المعاصرة، بيروت، لبنان، دط 1981م، ص 29.
- (50) – ادوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ص 13.
- (51) – ميشل فوكو، نظام الخطاب، تر محمد سيلا، التنوير، دط، دت، ص 49.
- (52) – سوزان باسنيت، الأدب المقارن مقدمة نقدية، تر: أميرة حسن نورية، المجلس الأعلى للثقافة، دط 1999م، ص 82.

- (53) – إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ص 58.
- (54) – المرجع نفسه، ص 139.
- (55) – إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ص 18، 19.
- (56) – هيلين جيلبرت، جوان مكنيز، الدراما ما بعد الكولونيالية النظرية والممارسة، ص 28.
- (57) – المرجع نفسه، ص 28.
- (58) – إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ص 99.
- (59) – المرجع نفسه، ص 136.